المحاضرة التاسعة: صراع الهويات في السياق العالمي

صراع الهويات ظاهرة معقدة ومتعددة الأبعاد تتطلب فهمًا عميقًا للسياقات الثقافية والسياسية والاجتماعية التي أنتجتها، فقد تفاقمت أزمة الهوية أكثر في عالم اليوم، وأصبحنا أمام ظاهرة يطلق عليها عالم الاجتماع والعلاقات الدولية الفرنسي، برتنارد بادي، "أثننة" العالم (من الإثنية). وبحسب المفكر عبد الغني عماد، أنتجت إحدى أدوات العولمة نقيضها، وأصبح خطاب الخصوصية الثقافية والهوية القومية يشكل مدخلاً أيديولوجيا تحتمي به الجماعات لتحصين نفسها والدفاع عن مصالحها في مواجهة الآخر. وهو ما يعبر عن تزاحم للهويات وصراعها في ظل تراجع فكرة دولة لكل مواطنيها، وصعود ربيع الحركات الشعبوية المتطرّفة.

أولا- تعريف الصراع الهوياتي:

تُعدّ الهوية من أكثر المفاهيم تعقيدًا في العلوم الاجتماعية والسياسية، فهي الإطار الذي يحدد علاقة الفرد بذاته وبالآخرين، وتشكل الأساس الذي تُبنى عليه الانتماءات الاجتماعية والسياسية. وفي بعض المجتمعات سيما تلك المتعددة الأعراق والطوائف، يظهر ما يمكن تسميته بـ"صراع الهوية" ؛ وهو صراع انتماء حيث يجد الفرد نفسه ممزقاً بين الانتماء إلى الأمة والدولة (الهوية الوطنية)، والانتماء إلى جماعته الأصلية، سواء كانت قومية أو دينية.

عموما يعرف صرع الهويات بأنه:

تصادم رؤى ومعتقدات متنافسة تنبع من اختلافات عرقية، دينية، ثقافية أو سياسية

ثانيا- مظاهر صراع الهويات في العالم المعاصر:

تتفاقم ظاهرة الصراع الهوياتي عالميا، وإن اختلفت في حدتها وطبيعتها، فهي على سبيل المثال ذات طابع عرقي -قومي في أوربا الغربية والشرقية، عرقي -عنصري في اميركا والبرازيل، ديني-قومي في الهند. وقد هيأت تلك الانقسامات المجتمعية مناخاً مناسباً لصعود اليمين المتطرف وتوسيع قواعده الشعبية، كما أنها وفرت مناخاً مناسباً أيضاً لمزايدة الأحزاب اللبرالية باسم نصرة الأقليات المهمشة للتغطية على لقاءها مع اليمين في التخادم مع رجال المال والاعمال والشركات الكبرى. ولعل من أبرز مظاهر الصراع الهوياتي ما يلي:

1. تصاعد النزاعات العرقية والدينية والطائفية في مناطق متعددة (الشرق الأوسط، أفريقيا، أوروبا)
2. ظهور حركات انفصالية وقومية محلية كرد فعل على العولمة (مثل كيبك واسكتلندا)
3. تأثير الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي في تعزيز الانقسامات وتشكيل هويات افتراضية متداخلة، تتجاوز الحدود الجغرافية والثقافية، مما يعقد المشهد الهوياتي.

ثالثا-التحديات المعاصرة في صراع الهويات:

يطرح صراع الهوية عديد التحديات التي تواجه المجتمعات المعاصرة، لعل أهمها:

1. تآكل الثقة في الحكومات والمؤسسات الوطنية، مما يعزز الانقسامات على أساس الهوية
2. استغلال الهويات من قبل قوى سياسية داخلية وخارجية لبسط النفوذ والتحكم
3. التطرف الديني والإقصاء المذهبي كأدوات للصراع والهويات المتشددة
4. تأثير التحولات التكنولوجية والثورة الرقمية في خلق هويات افتراضية معقدة ومتعددة الأبعاد
5. ضعف الحوار الثقافي والتفاهم بين المجموعات المختلفة، مما يزيد من الاحتقان والصراع

رابعا-استراتيجيات وطرق مواجهة صراع الهويات:

من أجل التصدي للصراع الهوياتي، يجب تعزيز الهوية الوطنية عبر التعليم والتنمية، مع الانفتاح الثقافي والتسامح، والتركيز على بناء الثقة بالنفس والتماسك المجتمعي، وحوار الثقافات، وإيجاد حلول تنموية شاملة تعزز الانتماء وتواجه تحديات العولمة. ولعل من أهم الاستراتيجيات المقترح:

1. تعزيز الهوية الوطنية الجامعة التي تجمع بين التنوع وتؤكد على المواطنة الشاملة
2. بناء حوار ثقافي مفتوح بين المجموعات المختلفة لتقليل الاحتقان وتعزيز التفاهم
3. تطوير سياسات عامة تركز على تلبية حاجات الناس المعيشية بدل الانحصار في الأيديولوجيات الهوية
4. استخدام التكنولوجيا ووسائل التواصل لتعزيز التعايش والتفاهم بدلاً من تأجيج الانقسامات
5. دعم التعليم والتربية على قيم التسامح والاحترام المتبادل